

الإتحاد العام التونسي للشغل ومشروع الوحدة المغاربية 1946-1956م

The Tunisian General Labor Union and the Maghreb Unity Project 1946-1956

قرفي عبد الله

جامعة قسنطينة2، abdallah.guerfi@univ-constantine2.dz

تاريخ النشر: 2022/07/ 10

تاريخ القبول: 2022/05/ 08

تاريخ الاستلام: 2022/05/ 14

ملخص:

سأحاول في هذا المقال تسليط الضوء على مبادرة الإتحاد العام التونسي للشغل في توحيد المغرب العربي، مع الإشارة إلى مختلف أشكال الدعم التي قدمها لقضايا الدول المغاربية، ضمن إطار زمني محدد بين سنتي 1946-1956م، وبالتالي فإن أهمية المقال تكمن في التعرف على الشكل الآخر الذي قاده التنظيمات النقابية لتوحيد المغرب العربي خلال فترة الكفاح الوطني؛ بعد ان كان هذا المشروع حكرا إلا على الحركات السياسية المغاربية، ومن هذه الأهمية سيكون الهدف من خلال مقالنا؛ هو لفت نظر الباحثين على البحث أكثر في مشروع الوحدة المغاربية، بعيدا عن مبادرات الحركات السياسية في الأقطار الثلاثة، والتركيز على جهود التنظيمات الجماهيرية في ذلك.

الكلمات الدالة: الوحدة، المغرب العربي، الإتحاد، النقابة.

Abstract:

In this article, I will try to shed light on the initiative of the Tunisian General Labor Union to unite the Arab Maghreb, with reference to the various forms of support it provided to the issues of the Maghreb countries, within a specific time frame between 1946-1956 AD, and therefore the importance of the article lies in identifying the other form that The union organizations led him to unify the Maghreb during the period of the national struggle; After this project was restricted only to the Maghreb political movements, and of this importance will be the goal through our article; It drew the attention of researchers to research more on the Maghreb unity project, away from the initiatives of the political movements in the three countries, and to focus on the efforts of mass organizations in this.

Keywords: Unity, Maghreb, Union, Syndicate.

1. مقدمة:

لم تستطع الحركات السياسية المغاربية؛ بالرغم جهودها المبذولة من تحقيق حلم وحدة المغرب العربي خلال مرحلة الكفاح الوطني، وذلك راجع لإنشغالها بقضاياها القطرية على حساب المصلحة المشتركة، إضافة إلى ذلك الضغط المتواصل عليها من طرف الاستعمار؛ الذي عمل بكل الطرق على تفتيت هذا المسعى النبيل، بالموازاة مع ذلك دخلت التنظيمات النقابية المغاربية على الخط الوحدوي؛ فحملت على عاتقها مهمة إرساء هذا المشروع، وكانت المبادرة الأولى من طرف الإتحاد العام التونسي للشغل، كونه القوة النقابية الأولى مغاربيا؛ وله صفة العالمية في نشاطه، حيث بادر بعرض مشروع الوحدة؛ بتأسيس نقابة عمالية مغاربية، مع السهر الدائم على تقديم الدعم ماديا ومعنويا لقضايا الدول المغاربية؛ خصوصا الجزائر والمغرب، من هذا المنطلق سأحاول في هذا المقال افجابه على إشكالية مهمة تبحث في مبادرة الإتحاد العام التونسي للشغل في توحيد المغرب العربي، مع الإشارة إلى مختلف أشكال الدعم التي قدمها لقضايا الدول المغاربية، ضمن إطار زمني محدد بين سنتي 1946-1956م، وقد ذيلتها إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية أذكر منها: ماهي الإضافة التي قدمها الإتحاد العام التونسي للشغل؟ وماهي الآليات والميكانيزمات التي اعتمد عليها في إرساء مشروع نقابة عمالية مغاربية؟ وماهي أشكال الدعم التي قدمها للقضيتين الجزائرية والمغربية؟.

ومن هنا سأحاول في هذا المقال تتبع محاولات الإتحاد العام التونسي للشغل في بعث مشروع الوحدة المغاربية؛ بتسليط الضوء على مشروعه الرامي إلى تأسيس نقابة تضم عمال شمال إفريقيا، وطبيعة علاقاته مع قضايا الدول المغاربية، ومن هنا فإن أهمية المقال تكمن في التعرف على الشكل الآخر الذي قادته التنظيمات النقابية لتوحيد المغرب العربي خلال فترة الكفاح الوطني؛ بعد ان كان هذا المشروع حكرا إلا على الحركات السياسية المغاربية، ومن هذه الأهمية سيكون الهدف من خلال مقالنا؛ هو لفت نظر الباحثين على البحث أكثر في مشروع الوحدة المغاربية، بعيدا عن مبادرات الحركات السياسية في الأقطار الثلاثة، والتركيز على جهود التنظيمات الجماهيرية في ذلك، ولتحليل الموضوع وعرضه؛ إعمدت على المنهجين التاريخي والتحليلي.

2. مشروع الوحدة النقابية المغاربية :

منذ تأسيس الإتحاد العام التونسي للشغل في 20 جانفي 1946م، عمل فرحات حشاد على الرفع من وتيرة النشاط النقابي للطبقة العاملة التونسية على المستويين الوطني والدولي، فعلى المستوى الداخلي بادر بدمج النضاليين الاجتماعي والاقتصادي بدنامية النضال الوطني، أما على المستوى الخارجي انطلق في نضاله مباشرة من

المغرب العربي؛ كي لا تبقى حسيبه الحركة النقابية التونسية: "منكمشة داخل الحدود التونسية، غير أنّ العمل اليومي لمنظمة نقابية في النطاق المحلي محتاج أيضا إلى الاعتماد على وحدة عمال جميع منظمات البلاد ذات الخطوط المشتركة في ميادين الحياة الأخرى، وأعني بذلك توحيد الحركة النقابية في شمال إفريقيا وهو حلم لن ندخر جهدا في سبيل تحقيقه"، كما ألح أيضا على ضرورة تمتين العلاقات المغربية؛ وذلك بدعوته إلى تأسيس نقابة مغربية جامعة لكل النقابات الوطنية في الأقطار الثلاث: (تونس، الجزائر، والمغرب) في ذات المحاضرة؛ وصرح قائلا: "ولا مجال للشك يا إخوتي في ان خط شمال إفريقيا للدول الثلاث مشترك ووثيق الارتباط، وقضيتنا واحدة على وجه الإطلاق وعلى هذا يجب إحكام عقد الرباط الأخوي المتين الذي يربط بين النقابات العمالية في الأقطار الثلاث في نطاق جامعة نقابية شمال إفريقية"⁽¹⁾.

من هذا المنطلق بدأ فرحات يعمل على إرساء أسس تأسيس نقابة مغربية مشتركة، وذلك اقتناعا منه على ضرورة دمج الكفاح العمالي التونسي بدنامية النضال المغربي المشترك، طبعاً هذا ما يعود بالنفع على البلدان الثلاث، خاصة مع اتساع رقعة العمل النقابي في المغرب والجزائر بالرغم من الصعوبات التي تعرضت لها الحركة النقابية في البلدين، وبالتالي حسب فرحات حشاد فإن: "تنظيم جامعة شمال إفريقية ستكون لها القدرة على الدفاع بصفة ناجعة على مصالح الطبقة العمالية في الأقطار الثلاث ذات المصير المشترك، وسوف لا نألو جهدا في سبيل تحقيق هذه الجامعة العزيزة علينا بصفة خاصة.. كما أنّها جامعة نقابية عديدة تستطيع إعداد مستقبل أفضل بمساهمتها مساهمة ناجعة في إقامة نظام إجتماعي يحقق حاجيات الطبقة الكادحة"⁽²⁾، إذا اتضحت الغاية من دعوة فرحات حشاد لضرورة دمج النقابات المغربية في نقابة عمالية واحدة، فمن هذا المنطق عمل الاستعمار على وأد هذا المشروع بأساليب ميكيفالية ترنحت بين محاولته عزل النضال النقابي الوطني التونسي عن أفق النضال المغربي، والعمل على تفتيت قوام بناء الحركة النقابية التونسية باعتماده على منظمات نقابية فرنسية في تونس، كان أهمها الإتحاد النقابي لعملة القطر التونسي، طبعاً لم تتكلم محاولاته المضنية بالنجاح؛ كونها ارتطمت برد فعل مغربي قوي مقاوم، إذ ضاعف العمال التونسيين من حدة تمسكهم بالخط الوحدوي المغربي بالموازاة مع إصرارهم على التحرر الوطني، بدليل تصريح فرحات حشاد في جريدة الزهرة التي قال فيها: "أن تكوين الرابطة النقابية لشمال إفريقيا أصبح مطمح كل عامل من عملة الأقطار المغربية الثلاثة.. كما أصبحوا مدركين بضرورة تكتلهم للقيام بواجبهم نحو أوطانهم التي تشملها مصلحة واحدة ومصير مشترك"⁽³⁾.

من هنا جاءت دعوات وأفكار المؤتمر القانوني الأول للإتحاد يوم 20 جانفي 1947م الذي أكد فيه فرحات حشاد: "على ضرورة تجاوز العمل النقابي التونسي الحدود الوطنية وتوغله إلى المغرب العربي وإلا سيبقى منكمشا ومعزول خاليا من كل فعالي"⁽⁴⁾، ذلك اقتناعا منه أن مشروع وحدة المغرب العربي و:"الكفاح العمالي الموحد الذي تقوم به الطبقة الشغيلة العالمية يرمي إلى الرفاهية العامة وانتصار الطبقة الكادحة في الميدان الاقتصادي والاجتماعي كما يهدف إلى إقرار الحرية التي ما انفك اهل الأرض يضحون في سبيلها بحياتهم، كل ذلك يمثل خير ضمان لديمقراطية عالمية حقيقية، في عالم مرأ من بذور الحرب تسوده دائما العدالة الإجتماعية ويكون فيه للعمل حرمة والخط الذي يستحقه"⁽⁵⁾.

استمر الإتحاد العام التونسي للشغل في تبني خيار "مغربة النقابة التونسية" والدعوة إلى الوحدة عبر مؤتمراته اللاحقة الثاني(1948)م والثالث (1949)م والرابع (1951)م، وجميعها تؤكد على:"أن الحركة النقابية التونسية بدأت تخرج من ضيق نضالها الوطني على أفق الكفاح المغاربي عن طريق الوحدة"، بدليل الوقفة التضامنية التي قام بها الإتحاد العام التونسي للشغل من جراء المصاب المغربي في نضاله المرير ضد السياسة الاستعمارية؛ ودعوته في مارس 1951م إلى التأزر مع الشعب المغربي الشقيق، ومن هنا نجد:"أن الوحدة المغاربية شيء واقعي وعميق لا جغرافي فقط وحده المصاب الذي سلطه الإستعمار على الأقطار المغلوبة على أمرها ووحدة الكفاح المجيد في سبيل الحرية والعدل وفي العمل الذي سيفضي في نهاية الأمر إلى الفور بحياة العزة والكرامة"⁽⁶⁾.

زيادة على ذلك تصاعد الوعي النقابي التونسي بضرورة توحيد المغرب العربي نقابيا؛ إذ نشر فرحات حشاد مقالا في المجلة البلجيكية ((synthese)) مقالا بين فيه ان:"العامل في تونس والجزائر والمغرب سيجد نفسه أمام مسؤوليتين ثقلتين وجب عليه تأديتهما وهما: التحرر الوطني والتحرر الإجتماعي"⁽⁷⁾، وقد بقي الإلحاح الداعي إلى ضرورة توحيد الجهود المغاربية على المستويين النقابي والسياسي من طرف فرحات حشاد إلى غاية اغتياله سنة 1952م، فبعد هذا الحدث الأليم والمصاب الجلل نلاحظ حدوث قطعة مؤقتة على مستوى النضال النقابي في المغرب العربي، ربما ذلك راجع إلى الفراغ الذي تركه فرحات حشاد عقب اغتياله.

لقد عاد مشروع توحيد الجهود النقابية المغاربية على الحياة مع تولي احمد بن صالح الأمانة العامة للإتحاد سنة 1955م، حيث سار مهولا على نهج وخطى سابقه في الإستراتيجية النقابية، إذ أكد في مقال كتبه في صوت العمل تحت عنوان "أملنا في كفاحنا" في عددها الافتتاحي من سنة 1955م من السلسلة الثانية؛ حيث قدم فيه

العديد من الملاحظات المنهجية المتعلقة بطريقة العمل الوحدوي، كما ألح فيه على ضرورة تكثيف التضامن بين الإخوة من العملة الأفارقة وخاصة في شمالها، أهم ما كتب فيه مايلي: "كفاحنا أساسه التضامن الذي هو من أعظم الأسباب النجاح، وهذا التضامن العمالي ليس محدودا جغرافية البلاد أو بلون المشاكل المحلية بل هو تضامن العمال أينما كانوا ومهما تلونت مشاكلهم"، طبعاً هذا الكلام فيه نوع من الإشارة إلى ضرورة إحياء الجهود المشتركة بين العمال التونسيين والخارج ضمن دوائر الانتماء الجغرافية الإفريقية والمغاربية، وبالتالي حسب: "من الطبيعي بالنسبة إلينا إن نتجه إلى ربط وتوطيد الصلة أولاً وبالذات بالعمال ومنظمتهم في الأقطار الإفريقية، لكن تضامن العمال بإفريقيا الشمالية و إفريقيا بأسرها لم يتيسر تنظيمه تنظيمًا جيدًا ومحكمًا؛ نظراً للظروف القاسية التي تعيش فيها القارة الإفريقية"⁽⁸⁾، وهذا كله من جراء السياسة الإستعمارية، فتلك المناطق مستهدفة بإلغاء وجودها التاريخي والجغرافي، وتحميد نضالها الوطني في الحدود الوطنية القطرية، فضلاً عن دأبها المستمر لزراعة شخصيتها الوطنية، عبر شن حرب مدمرة ذات الأبعاد المختلفة دينياً وعرقياً، ثقافياً ولغوياً، فعلى سبيل المثال كانت السياسة الفرنسية في الجزائر - حسب الدكتور المرحوم أبو القاسم سعد الله - ذات ثلاث أهداف: "الأول صنع الجزائر الفرنسية بما يعنيه ذلك من أبعاد، والثاني طمس التاريخ والشخصية الجزائرية وإزالتها من الاعتبار، والثالث قهر أي نوع من أنواع المقاومة التي يمكن أن تزجح أمن فرنسا في الجزائر واستخدام كل الأساليب والوسائل للوصول إلى ذلك الهدف"⁽⁹⁾.

أما في المغرب حسب علال الفاسي فقد كانت: "تحاول عبر جاليتها الاستحواذ على مقاليد السياسة والحكم، واحتكار الخيرات في كل ربوع البلد، فضلاً عن سعيها الحثيث لتخريب تفتيت النسيج الاجتماعي لبث التفرقة ونشر الضغائن بين الناس، كما قامت بمنع المشاركة الفعلية في تسيير البلاد عبر المجالس المنتخبة، بل الأكثر من ذلك منع الناس من كل حرية خاصة أو عامة، إضافة إلى التمييز العنصري عن طريق القانون في الحقوق والامتيازات"⁽¹⁰⁾، بالرغم من المعاناة المغاربية على المستوى الشعبي والعمالي، نلاحظ تصعيد أحمد بن صالح من وتيرة الدعوة "الوحدوية" ففي مقال كتبه سنة 1955م تحت عنوان "جبهة عمال شمال إفريقيا" أعتبر فيه ان الوحدة لا تحقق إلا بتأسيس نقابات مغاربية تكافح من اجل افتكاك حقها النقابي، في البداية لاقت هذه الدعوة الترحيب و الإستجابة، إذ تأسس في المغرب الإتحاد المغربي للشغل 1955م، و بعده يتأسس الإتحاد العام للعمال الجزائريين سنة 1956م، وبالتالي فإن حدوث مثل هكذا تحولات على مستوى العمل النقابي حسب أحمد بن صالح: "سيتقوي الكفاح الاجتماعي القومي بهذا الشمال العزيز بفضل الكفاح النقابي الذي سيخلص

النفوس من تلثم العواطف والتشبث بظواهر الحرية ويجعل الوطني الصادق لا يرضى على نفسه إلا ان يكافح في آن واحد لتحرير وطنه سياسيا وتحرير أمته إجتماعيا.. وهكذا نخطو خطوة جديدة في لنجعل المبادئ الديمقراطية تتمكن من شعوب شمال إفريقيا والتي لا تحتاج إلى ذبذبة المتطرفين من أذئاب التاريخ وأذئاب المذاهب الفاسدة التي لا يمكن ان تشجعها غير النظام الإستعماري"⁽¹¹⁾، من خلال هذا التصريح نفهم ان تراكمات الواقع الإستعماري المتحالف شرعيا مع رأس المال في تونس وشروط عيش العامل ضمن إطار منظومة حكم مزدوج تونسي - فرنسي ، ولدت وعيا أيقض الحس النضال المغاربي لدى الطبقة الشغيلة التونسية، التي أعلنت من خلاله وإن كانت متأخرة عن عزمها على خلخلة أركان الظاهرة الإستعمارية أكثر مما كانت عليه في عهد فرحات حشاد ، الذي كان قوام فكره النقابي ممارسة وتنظيرا يقوم في أساسه: "على التنظير بالكتابة وعلى الدعوة بالتنفيذ"⁽¹²⁾، وبالتالي فإن كبح عجلة الاستعمار الغاشم في البلدان الثلاثة لا يتأتى إلا بالكفاح الميداني المندمج شرعيا بالكفاح الإجتماعي، خاصة حسب أحمد المالكي أن الإستعمار في البلدان الثلاثة خلال هذه الفترة: "لم يعد مجرد إجهاز على الأنا ومقوماته بل الأكثر من ذلك أصبح نظاما لتشريع التخلف والفقر والتجهيل، وبالتالي لم تعد المواجهة منطلقة من رد فعل متمحور حول الدفاع عن الهوية والشخصية التاريخية فقط بل أصبحت الضرورة ملحة للمطالبة بإلغاء الاستعمار في فصوله وأصوله مما يعني صياغة إستراتيجية جديدة قوامها الدعوة إلى التحرر وبناء الدولة الوطنية"⁽¹³⁾.

وفعلا تم تطبيق هذه الإستراتيجية احمد بن صالح؛ وقد وضح ذلك في مقال كتبه في جريدة صوت العمل جاء تحت عنوان "بين النيران"؛ وضح فيه ان مجابهة العنف لا يكون إلا بالعنف والعمل الميداني الدؤوب كونهما يخضعان لشروط الحتمية التاريخية وقوانينها المختلفة، كما نوه بخطورة "الظاهرة" الإستعمارية المستفحلة فكرا وتنظيرا في بلدان إفريقيا الشمالية، كما حاول تحفيز شعور الحركات الثورية المغاربية وحثها على مواصلة نضالها في سبيل التحرر من شرك الهيمنة الاستعمارية، وصرح فيه متفائلا: "هي شعوب شمال إفريقيا اليوم متقدمة في النضال ضد الاستعمار في سبيل الكرامة والحرية الكاملة والرفاهية.. وقد أصبح العنف فترة أقنعنا بما التاريخ على أنها محتمة ولكنها غير حاسمة، فهل يظن القوم ان شمال إفريقيا ستنتفضى عزمته على حياة حرة ريفية، لقد فهم سياسة فرنسا أخيرا وقد فهم قبلهم شعوبهم.. وبالتالي فإن لشعوب شمال إفريقيا جميعا مهما اختلف أوضاعها القدرة على الإنعتاق وعلى فك الحرية وضمائها المحافظة عليها، فالشعوب لا تغلب ولا يغلب عليها"⁽¹⁴⁾، ومن ثم فإن كثرة الأنشطة والمحاولات والدعوات إلى "الوحدة" التي قام بها احمد بن صالح وقبله فرحات حشاد لتأسيس

نقابة عمالية موحدة جامعة في شمال إفريقيا تضم النقابات الثورية الكبرى في البلدان الثلاث، باءت كلها بالفشل ولم تتكامل بالنجاح، وذلك راجع ربما لانشغال كل واحد منها بالمصالح القطرية المسطرة؛ فضلا عن ذلك ضغط الحركات السياسية في بلدانها التي تغافلت عن "القوة الوحدوية" التي من الممكن ان تكسبها من جراء تحقيق مشروع الوحدة، علاوة على ذلك نشوب بعض الخلافات بين القيادات الثورية في البلدان الثلاث.

وهذا ما وضحه احمد بن صالح حين صرح قائلا: "ألا فل نجتهد لننشئ أخلاقنا في هذا الاتجاه، لا في اتجاه الدول المريضة المبعثرة قد ينخر عظامها العجز ويعبث بما الجمود، فإذا كان كفاحنا واحد واتجاهنا هو وطننا العزيز وشمال إفريقيا الناهض وإفريقيا بأسرها، فإن خلافنا يكون تنافسا على بناء الشيء الصالح وتهديم النظم الفاسدة، ألا فلنخلص بمواقفنا ولنقض على بعض الأذئاب المحيطين بنا والذين يدفعون بالقوى التونسية الخالصة إلى العبث والاستهتار في مواقفهم او في معارضتهم ألا فلنحرم على أنفسنا أن نلوث الحرية قبل ان يكمل نعيمها علينا"⁽¹⁵⁾، ليوضح احمد بن صالح مرة اخرى هذه الفكرة اكثر في مناسبة بقوله: "تكاثر العراقل واختلفت في طريق حرية شمال إفريقيا وكثرت الضجة في الداخل والخارج، ووطن كل واحد أنه يعمل في تحرير تونس وشمال إفريقيا بكاملها.. فهذا الإتحاد يبلغ صوت تونس إلى العالم.. وهو صوت شعب لا يجب ان يبقى معزولا عن العالم بل يريد نفسه حرا في قارة حرة هي إفريقيا بأسرها، ولا يكتفي بهذا بل يعمل على ربط الصلة الشعبية بين كافة البلاد الإفريقية وهو شعب يوطد علاقته بالشعوب العربية لا بحكومتها فقط، فيعمل على توطيد تيار تقدمي اجتماعي في بلاده ويساهم في توطيد التيارات الشعبية في البلاد الشقيقة.. فبعيدا عن التحجر وبعيدا عن الشك ليفتح لنفسه أبواب الحرية كاملة وليتبوأ مكانه في شمال إفريقيا حرة وإفريقيا بأسرها"⁽¹⁶⁾.

ومن هنا نفهم أسباب الضعف التي أنهكت مشروع الوحدة النقابية المغاربية، الذي لم تشأ الأقدار ان يتحقق وبقي معلقا، بالرغم من هذه الخسارة الفادحة التي مني بها النضال النقابي المغاربي، إلا ان احمد بن صالح لم يأس بل راهن على توظيف الشعب في العمل النقابي الوحدوي، كون ان جل العراقل التي صادفها المشروع كانت بسبب الخلافات الناجمة بين الحركات السياسية في البلدان الثلاث، فقد جدد الدعوة إلى تأسيس نقابة عمالية توحد عمال شمال إفريقيا، بعد ان تم الاتفاق بين الفواعل النقابية الكبرى في البلدان المغاربية، تحت إشراف الإتحاد العام التونسي للشغل بعد التقائهم في مدينة بروكسل جويلية سنة 1956م، في الاجتماع الذي عقدته الجامعة العالمية للنقابات الحرة، وقد وضع احمد بن صالح هذا الأمر في مقال كتبه في صوت العمل تحت عنوان "طريق

الحرية " قال فيه بخصوص هذه المسألة وتطوراتها مايلي:(طالما دعونا عبر هذه الصحيفة وغيرها من منابر نقابية إلى توحيد صفوف شغالين الشمال الإفريقي ،ولطالما وضحنا وأكدنا ضرورة هذا التوحيد من حيث الاتجاه والخطط،ومن حيث النهوض ببلادنا المغاربية العزيزة فحوضا إجتماعيا واقتصاديا في كنف الحرية ،فها اليوم يتحقق الأمل وتدخل فكرة الاتحادية حيز الواقع والتطبيق بعدنا اجتماعنا الأخير في بروكسل"،خاصة وان هذا الأمر نابع من فكرة المصير والعدو المشترك ،فضلا عن تشابه أوضاع وظروف الطبقة العمالية في البلدان المغاربية الثلاث ،وبالتالي فإن هذه الفرصة حسبه هي : "نبأ عظيم بالنسبة إلى مستقبل الكفاح الإجماعي المغاري ،فلماذا لا نوحده صفوفنا حتى نشكل جبهة مغاربية تعيد اللحمة بين أقطارنا التي فرق بينها الإستعمار وتعزز موقفنا في ذلك المنظمات الأمية "(17).

طبعاً هذا المشروع لم يتحقق على ارض الواقع بعد هذا اللقاء الثلاثي بين قيادي النقابات العمالية في البلدان الثلاث ،فقد حدثت عدة تطورات دفعت بتوجيه الاهتمام بالمصالح القطرية وبناء الدولة الوطنية على حساب المصلحة المغاربية المشتركة، وهي استقلال كل من تونس والمغرب الأقصى، فحين بقيت الجزائر تسبح فلكها الثوري والقطري وحيدة، وليس معنى هذا غض الطرف عن القضية الجزائرية من طرف الإتحاد العام التونسي للشغل، بل واصل الدعم للثورة الجزائرية بمختلف أشكاله وأنواعه للقضية الجزائرية و على المستويين القطري والدولي، وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل في العنصر الموالي.

3. الإتحاد العام التونسي للشغل والقضية الجزائرية :

كانت تونس أكثر نضجا نقابيا من نظيرتها الجزائر ،بحكم السبق التاريخي في الممارسة النقابية قطريا و مغاريا ودوليا،إلا أن هذا التفوق لم يمنع وجود كافة مظاهر اللحمة والأزره النقابية - التونسية الجزائرية- والتي ساهمت بشكل أو بآخر في استفادة الحركة النقابية الجزائرية من التجربة النقابية التونسية وتوظيفها لصالح مشروع الكفاح الوطني، لقد ساهم تبادل الخبرات النقابية في إذكاء روح وعيها القومي -للحركة النقابية الجزائرية -ودمجها مبكرا في معركة التحرير التي كانت حركرا على الحركة السياسية الوطنية -جبهة التحرير الوطني -ساهم الدعم النقابي التونسي بقيادة الإتحاد العام التونسي في تنوير العنصر العمالي بمختلف طبقاته الشعبية ودمجه مبكرا في قلب الثورة الجزائرية و توسيع قاعدتها الجماهيرية،لبصبح هناك تلاحم داخلي ثان بين الحركيتين السياسية والعمالية داخل الثورة الجزائرية؛ و ربط النضال العمالي بالنضال السياسي (18).

لقد بدأت علاقات الإتحاد العام التونسي للشغل مع القضية الجزائرية مبكرا، فقد شهد المؤتمر التأسيسي للإتحاد المنعقد في الخلدونية يوم 20 جانفي 1946م، حضور عدة شخصيات سياسية ونقابية جزائرية⁽¹⁹⁾، وبعد هذا حظيت للقضية الجزائرية من الدعم العمالي التونسي؛ عن طريق التحسيس بمسألة الأسعار والأجور التي كان يعاني منها الشعب الجزائري خاصة سنة 1948م، كما شهر مناضلي الإتحاد العام التونسي للشغل بالسياسة التي يقوم بها المعمرين في الجزائر لمعارضة القوانين الاجتماعية بالمناطق الفلاحية، وما تعرض إليه العمال من تنكيل وعنصرية، وهذه المعارضة امتدت إلى القطر التونسي أيضا، وقد وضع هذا الأمر فرحات حشاد قائلا: "يقومون بذلك وهو الدليل على عزمهم لمجابهة كل تقدم اجتماعي بالشمال الإفريقي ناهيك عن ان العدالة الفرنسية في الجزائر تصدر أحكاما بإطلاق سبيل أولئك المعمرين عند ارتكابهم مخالفات للقوانين الرسمية، والحكومة بهذه المناسبات دائما تظهر ضعفها امام أولئك المستعمرين وتترسخ لإرادتهم وترضي رغائبهم وتفوقهم على الطبقة العمالية المسالمة التي تطالب بحقها الشرعي وتنشد حياة البشر ومعاملة الإنسان لا الحيوان ومعاملة العبيد، فإلى الانتباه أيها العمال الجزائريون وإلى اليقظة فكونوا مستعدين للدفاع عن مصالحكم"⁽²⁰⁾.

وبعد ذلك تجنّب فرحات حشاد الحديث عن الجزائر، إذ انني لم أعثر على مقال واحد أشار فيه إلى القضية الجزائرية بين فترة 1948م و1952م، بسبب انشغاله بثلاث أمور كما نوهنا إليها سابقا وهي: الإنخراط في المنظمات النقابية الدولية، ومحاولته الحثيثة لتدويل قضية بلاده في الأمم المتحدة؛ فضلا عن تسييسه للعمل النقابي²¹، ولكن السبب العميق في رأينا هو ان فرحات حشاد وجد في الجزائر فراغ نقابي كبير، خاصة و ان اغلب النقابات العمالية الوطنية الجزائرية قبل ظهور الإتحاد العام العام للعمال الجزائريين كانت: "تسبح في فلك المنظمات النقابية الفرنسية"⁽²²⁾، وبالتالي صعوبة التواصل العمالي بينهما.

بقيت دار لقمان على حالها إلى غاية اغتيال فرحات حشاد واندلاع أحداث الثورة التونسية في جانفي 1952م، إذ حظيت تونس بتأييد مطلق من أقوى رموز البروليتاريا الوطنية والسياسية مصالي الحاج رئيس حركة الانتصار الحريات الديمقراطية، حيث أمر بعقد اجتماعات متنقلة برئاسته شخصيا في الأسواق والمقاهي والأماكن العامة للتعريف بالقضية التونسية، ومحاولا إلفات نظر الجزائريين إليها⁽²³⁾، كما حث النواب والوطنيون الجزائريون في مجالس الجماعات او البلديات أن يقوموا بحركات احتجاجية باسمهم و باسم الأمة التي يمثلونها، فتفاعل العمال والمناضلون والطلبة مع الطرح؛ و أصبحوا يقومون بالإضرابات والمظاهرات تنديدا بالفئات الإستعمارية المرتكبة في حق التونسيين⁽²⁴⁾، ومع اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية نوفمبر 1954م، عبر احمد بن صالح نيابة عن

مناضلي الإتحاد العام التونسي للشغل عن مباركتها لها ،وانه على استعداد تام لتقديم يد الدعم والمساندة للثوار والعمال الجزائريين إن اقتضت الضرورة إلى ذلك، كما حث على ضرورة دخول القضية الجزائرية طور المفاوضات، ويظهر ذلك عندما صرح قائلاً: "هذه هي الجزائر تدور عليها رحى الثورة، ونحن نعتقد ان التفاوض واجب في الجزائر مثل ما وجب في تونس، فهو محتم ولكنه غير حاسم ،فالتفاوض لا تتمم ولا به جميع القضايا"⁽²⁵⁾.

وعندما شارفت تونس على تحقيق سيادتها الداخلية؛ تذكر احمد بن صالح القضية الجزائرية ولم ينسأها ،ووضح أن الكفاح الجزائري والتونسي وجهان لعملة واحدة على الرغم من إختلاف الوسائل؛ وضمن هذا السياق صرح قائلاً: "ولكن كفاحنا الطويل لم يرم يوماً ما إلى ان نعوض النظام الاستعماري بنظام غير ديموقراطي، كفاحنا كان ولا يزال يحمل الوعي الديمقراطي والإيمان بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية التي لا يستطيع غير الشعب سنها .. ان فوائد الجميع استقلال دولتنا ورفع مستوى شعبنا ورائد الجميع مواصلة العمل والكفاح للضغط على النظام الاستعماري بالجزائر"⁽²⁶⁾، إن هذه النبرة القوية واللهجة الشديدة التي من خلالها شن الإتحاد العام التونسي للشغل للحرب على النظام الإستعماري ،تؤكد لنا مدى متانة العلاقة بين الإتحاد العام التونسي للشغل والقضية الجزائرية؛ وان قضية الشعبين واحدة ومصيرها واحد ،هذا الأمر تؤكد الكثير من المقالات التي كتبت حول القضية الجزائرية في صوت العمل اللسان النطق للإتحاد العام التونسي للشغل؛ والتي لم تنقص يوماً من قدر الاهتمام بالشأن الجزائري ؛ سواء على المستوى الوطني او الدولي؛ وعلى سبيل المثال كتبت الجريدة في كن الأسبوع مقطعا لخصت فيه الوضع المأسوي الذي تعيشه الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي، أهم ما ورد فيه مايلي: "هذه هي الجزائر الشقيقة التي لا تزال تحت قيد العبودية تتأكلها النيران والرصاص ويموت أبناؤها الأبرار في كفاحهم المستميت"، كما حثت على ضرورة إعطاء الشعب الجزائري الحق في تقرير مصيره بنفسه خاصة بعدما نوهت لاستقلال تونس والمغرب؛ وكتب فيها مايلي: "لا بد من تمكين الشعب الجزائري من التعبير عن إرادته ومن تعيين نواب يمثلونه ،ولكن ذلك لا يتم إلا إذا أعلنت فرنسا عن عزمها على الاعتراف بذاتية الجزائر القومية وإقامة انتخابات حرة ديموقراطية تحت مراقبة أممية"⁽²⁷⁾.

وفي مساحة إعلامية أخرى نوهت الجريدة ببطولات كفاح الشعب والثوار الجزائريين متمنية لهم الحرية والسيادة الوطنية على جميع المستويات، كما عبرت عن إعجابها الكبير بالأعمال التي يقدمها العمال الجزائريين للثورة التحريرية؛ وأعربت عن تعاونها التام مع الإتحاد العام للعمال الجزائريين التنظيم النقابي الجزائري الخالص الذي

سيتأسس وغيره من المنظمات الإفريقية، اهم ما ورد في الجريدة مايلي: "إن نضال الجزائر نضال شعب أبي يرمي إلى رفع المظالم على أبناء الشعب، ونحن نأمل ان تكون حرية الجزائر السياسية عاملا فعالا لقيام حركة نقابية قومية هي الآن في طور التكوين والتخلص من الحركات الأجنبية التي عبثت بمصالح الشعب وبغايات الطبقة الشغيلة الكادحة في القطر الشقيق، إن قيام منظمة نقابية قومية في الجزائر سيساهم في تطوير السياسة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما لرفع مستوى العامل المادي والفكري كما أنها ستتعاون مع المنظمات النقابية في هذا الشمال العزيز لتعزيز روابط الأخوة الإفريقية التي سيعمل الإتحاد العام على تقويتها للمحافظة على ثروتها وسيادتها"⁽²⁸⁾.

كما كان للإتحاد العام التونسي للشغل دور بارز في تأسيس الإتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA)، وذلك عندما أرسل النقابي والسياسي احمد التليلي برقية إلى عبان رمضان يخبره فيها ان مصالي الحاج قد أسس نقابة عمالية تحت إسم (الإتحاد النقابي للعمال الجزائريين USTA) وهو الآن في مباحثات بينه وبين منظمة السيزل الدولية للانخراط فيها، فقام بعد هذه الرسالة عبان رمضان بتأسيس الإتحاد العام للعمال الجزائريين ردا على ذلك بحكم التنافس الكبير بين جبهة التحرير الوطني والحركة المصالية، وهو في الحقيقة للرد على مصالي الحاج بحكم أن مصالي الحاج خلال تلك الفترة كان مناوئا للثورة الجزائرية عبر منظمته السياسية المعروفة باسم (الحركة الوطنية المصالية MNA)، ومع تأسيس الإتحاد العام للعمال للجزائريين قرر مناضلوا الإتحاد العام التونسي للشغل تقديم دعمه المادي مباشرة له إذ تم: "تخصيص مقر للإتحاد العام للعمال الجزائريين في تونس بتصريف قايد مولود، بكامل تجهيزاته من آلة طباعة، ومكاتب تكوين، وأوراق، فضلا عن الروح التضامنية التي أبانها الإتحاد العام التونسي للشغل من صرف مداخله التي كان يجمعها عبر الأنشطة المختلفة وصرفها لصالح الثوار الجزائريين، إلا جانب ذلك تكوين العديد من النقابيين الجزائريين والرفع من وعيهم الثوري بالقضية الجزائرية"⁽²⁹⁾.

ولم يتوقف الإتحاد العام التونسي للشغل عند هذا الحد من الدعم للإتحاد العام للعمال الجزائريين بل راح -الإتحاد العام التونسي للشغل- يقوم بمساعي عند منظمة السيزل الدولية ونصحها بقبول طلب انخراط الإتحاد العام للعمال الجزائريين ضمن صفوفها، فضلا عن هذا سعيه الحثيث إلى جانب الإتحاد العام للعمال الجزائريين على إسماع صوت القضية الجزائرية داخل منبر الأمم المتحدة⁽³⁰⁾، لم يتوقف الاهتمام بالقضية الجزائرية عند هذا المجال، بل راح مناضلوا الإتحاد العام التونسي للشغل يشهرون بالسياسة الفرنسية المنتهجة بالجزائر عبر جريدة صوت العمل ؛

ضمن ركن حديث الإِسبوع كما جرت عليه العادة ، حيث كانت في كل مرة تثير قضية معينة متعلقة بالوضع العام في الجزائر، فهذه المرة سنتنوه بعروبة الجزائريين مشهورة في نفس الوقت بالظلم الاستعماري المسلط عليها، بل الأكثر من ذلك اعتبرت ان القضية الجزائرية هي قضية مغاربية صرفة ورد فيها ضمن هذا السياق مايلي: "إن قادة فرنسا يعتقدون في أعماق نفوسهم ان الجزائر بلاد عربية ولن تندمج مع فرنسا، و ان الوقت قد حان لتخليص هذه البلاد من الاستعمار مهما تلونت وسائل الإرهاب ورغم تعصب الرجعية وتألبها ..،إننا ان يتغلب الرشد في حل القضية الجزائرية التي هي قضية شمال إفريقيا ونأمل أن يكون ذلك في أقرب الأوقات لتصبح دولة ذات سيادة تقوم بدورها لازدهار هذا الشمال الإفريقي العزيز"⁽³¹⁾ ، في الوقت الذي كانت فيه الدول المغاربية منشغلة بتدعيم قواعد استقلالها في الميدان السياسي قدمت قيادة الإتحاد العام التونسي للشغل ممثلة في شخص احمد بن صالح يوم 19 ماي 1956م ،مجموعة من الحلول الإستعجالية ضمن إطار برنامج سطر تحت مبدأ "أولوية الحل الإستعجالي على البرنامج"، فبعد ان أُنهي هذه المسألة، صوب أنظاره من جديد للقضية الجزائرية، حيث كتب مقالا مقتضبا تحت عنوان "الجزائر"؛ وكأنه يذرف دموعا لأنين الجزائر وشعبها، حيث عبر عن سخطه الشديد من السياسة الإستعمارية المفروضة على الشعب الجزائري، موضحا فيه في الوقت نفسه طبيعة عقل الإستعمار وطباعه ، حيث صرح قائلاً: "يتعننت الساسة الفرنسيون ويواصلونها حربا شنيعة على الشعب الجزائري ويجالد الشعب الجزائري قوة جبارة "قوة السلاح والدمار والمال وقوى المال وقوى إدارة فاسدة منبثقة من أرجاء وطنه، ويجالد عقلية فرنسية أفسدها أخرى قادة وقعوا في شرك رؤوس الأموال وفي شرك العصبية والكل يدفع بهم إلى إنتهاج سياسة إجرامية ينقم عليها كل ضمير حر"، داعيا في نفس الوقت الضمير الدولي للتدخل حيث يقول مسترسلا: " هذا ما أثار غضبنا وجعلنا نراجع كل يوم أنفسنا وعلاقتنا هو صمت الديمقراطية ، هو صوت العالم الحر ، هو ثقل هذا الصمت ، فالذي لا نتحمله ليس عبث لاكوست واستهتاره، ولا هي سياسة أرباب المصالح المالية الكبرى في فرنسا والجزائر فكل هذا نتوقعه ، ونعلم أنه من نتائج الحرب، ولكن الذي سوف لا نتحمله هو سكوت الدول الديمقراطية فعلى العالم ان يندفع معنا لنصرة الحرية الجزائرية".

كما أشار في ذات المقال أيضا إلى ان المنظمات النقابية الدولية غير قادرة وحدها على تحقيق هذه الرغبة، مشيرا في نفس الوقت إلى مظاهر المساندة والمجهودات التي قام بها الإتحاد العام التونسي للشغل على المستوى السياسي والنقابي الدولي لإسماع صوت القضية الجزائرية، وختم المقال قائلاً: "وبقي عزمنا جميعا ألا يوقفنا أي

إعتبار في عملنا لفائدة تخليص الجزائر وفي سبيل القضاء على كل مواطن الإستعمار والامتهان في كل شبر من الأرض،..وبقي علينا ان نؤلب الدنيا ضد حرب الإستعمار في الجزائر .."(32).

نظرا لاتساع رقعة العمل النقابي في الجزائر تحت إشراف الإتحاد العام للعمال الجزائريين، قامت السلطات الاستعمارية باعتقال العديد من النقبائين الجزائريين المنخرطين ضمن هذا التنظيم الناشئ حديثا، بهدف عزل الكفاح الإجماعي عن الكفاح الثوري، وبهذه المناسبة وجهت القيادة العليا للإتحاد العام التونسي للشغل نداء استغاثة إلى الجامعة الأممية للنقابات الحرة (CISL)، وهو أقصى درجات التضامن والدعم، تترجأها بالتدخل لحلحة المسألة الجزائرية، اهم ما ورد في الرسالة ماييلي: "يطلب بإلحاح الإتحاد العام التونسي للشغل منكم ان تتخذوا موقفا صارما امام الاعتقالات التي مست القادة النقبائين الجزائريين بالجملة، كما يطلب الإتحاد العام التونسي للشغل تدخلكم لدى فرنسا والمنظمة الدولية للشغل ضد الاعتداءات المتكررة على أسط الحريات النقابية، وندعوا الجزائريين من عندكم إلى مواصلة حريهم وفي الخير نعبر لكم أننا متضامنا تضامنا تاما مع أشقاؤنا في الجزائر"(33).

وعلى إثر هذه الرسالة قررت الجامعة النقابية للنقابات الحرة عقد إجتماع استعجالي بمدينة بروكسل في الفترة الممتدة بين 3 جويلية إلى غاية 7 جويلية 1956م⁽³⁴⁾، ليتم تدارس القضية الجزائرية وقضايا أخرى، وقد كان الهدف من هذا كله هو تقوية شوكة الحركة النقابية الجزائرية والتونسية في الميدان الأممي، بدليل ان الهيئة الإدارية للإتحاد العام التونسي للشغل في اجتماعها المنعقد يوم 23 جوان 1956م بحضور جميع الأمناء العامون للاتحادات الجهوية التابعة له في تونس، عبرت عن مدى ابتهاجها بالقرارات المتخذة من طرف المنظمة الأممية؛ حيث ورد في محضر الاجتماع ماييلي: "إن الهيئة الإدارية للإتحاد تسجل بارتياح انحراط بلادنا في منظمة الشغل الدولية وأن هذا الإنحراط سيقوي من مركز تونس بين الأقطار المتقدمة"، كما أعلنت في الاجتماع ذاته؛ انه سيتم عقد إجتماع نقابي يضم أغلب النقابات الإفريقية وعلى رأسها الجزائر خصوصا: "أن نجاح النظام الديمقراطي في المغرب وتونس مرهون بوجود حل عادل للقضية الجزائرية، ونتمنى ان تتدخل الجامعة الأممية للنقابات الحرة مرة أخرى تدخلا مستمرا مع جميع الديمقراطيين في العالم، لدى الحكومة الفرنسية لحلحة هذا المشكل حلا عادلا"(35).

لقد تواصل الدعم العام للقضية الجزائرية من طرف الإتحاد العام التونسي للشغل، فقد كتب احمد بن صالح مقالا تحت عنوان "المشكلتان الجزائر والاقتصاد"، فهذا العنوان له دلالات وإيحاءات كثيرة؛ كونه ربط القضية الجزائرية

بالمشكلة الاقتصادية التونسية أي انه جعل من القضية الجزائرية قضية مشتركة بينه وبين الاقتصاد التونسي، فحتى بعد إطلاعي على المقال وجدت فيه نوع تغليب القضية الجزائرية على المشكل الاقتصادي التونسي، مع ربط تطور هذا الأخير بنجاح الثورة الجزائرية، بالتالي لا تستقيم أحوال تونس إقتصاديا إلا بتحرر الجزائر من ربة الإستعمار، كما دعا فيه على ممارسة كافة أشكال الضغط السياسي لدخول القضية الجزائر على طور المفاوضات، عموما اهم ما تضمن هذا المقال ماييلي: "تجاه دولتنا مشكلتان بدون حللها لا تستقيم حالنا الأولى هي الجزائر، فحرب الجزائر تهيمن على الحالة بشمال إفريقيا وسياسة تونس بصورة خاصة، وهي ام المشاكل الأخرى .. لذلك واجب علينا ان نشدد الضغط السياسي وغيره حتى تدخل فرنسا في مفاوضات مع قادة جبهة التحرير الوطني على قاعدة الاعتراف بالدولة الجزائرية"، كما ألح فيه على ضرورة الوساطة التونسية والتمثيل في القيام بذلك وأكمل قائلا: "واجب علينا إذا تفاوضنا ان نصارح فرنسا أنه من الأكد ان نتفاهم معها في قضية الجزائر، فإنه من صالح فرنسا أن نتفاهم معها مباشرة في قضية الجزائر، خيرا من ان نتفاهم معها في الموضوع نفسه عن طريق أخطر هو طريق جيوشها، وربما إقلاق جيوشها ومقاومتها من طرف شعب كامل مستعد لذلك"⁽³⁶⁾، علما أنه في الشق السياسي خلال هذه الفترة سيحدث تطورا دراماتيكية في مسألة الوحدة المغربية، إذ قررت القيادات السياسية الكبرى في البلدان المغربية الثلاث عقد مؤتمر مغربي جامع لتدارس القضية الجزائرية يوم 22 أكتوبر 1956 م.

وكان من بين المدعويين في الطرف الجزائري مايعرف بالقادة الخمس⁽³⁷⁾، فقبل عقد هذا الإجتماع المغربي بيومين كتب احمد بن صالح مقال تحت عنوان "غرة نوفمبر: يوم الجزائر"، بين فيه أن قيادة الإتحاد العام التونسي للشغل عازمة على عقد العديد من الإجتماعات واللقاءات التشاورية الدورية على مستوى اللجان المحلية والإتحادات الجهوية؛ تحسيسا منها على ضرورة الالتفاف حول وحدة المغرب العربي والقضية الجزائرية معا، كما دعا إلى ضرورة: "التضامن مع الجزائر وليكن يوم غرة نوفمبر يوما حاسما في تدعيم أركان وحدة المغرب العربي، فثورة الجزائر ثورتنا التي ستنتصر لا محالة.. فل تحيا الثورة الجزائرية"⁽³⁸⁾، طبعاً لم تشأ الظروف والأقدار ان يتحقق الإجتماع المغربي في تونس، إذ قامت السلطات الإستعمارية باعتقال القادة الخمس الجزائريين في عملية قرصنة جوية كانت الأولى من نوعها في التاريخ⁽³⁹⁾، وقد كان صدى هذا الحادث مفاجئ و احدث صدمة كبيرة في نفوس العمال التونسيين، بالأخص المنخرطين تحت راية الإتحاد العام التونسي للشغل، فكان موقفهم من هذه المسألة واضحا، إذ صرح احمد بن صالح نيابة عنهم وهو منددا وغاضبا من هذه العملية ماييلي: "تواصل فرنسا

الحرب على الجزائر وهي في الواقع حرب على شمال إفريقيا، وقد برهنت للعالم في هذا الأسبوع بأنها لا تؤمن بغير الحرب في الجزائر.. إن اعتداء فرنسا على القانون والحرمة والمروءة واعتداء كبير على ثورة الجزائر وعلى كفاح أقطار شمال إفريقيا من اجل وحدتها وازدهارها.. لكن المهم اليوم ان نشارك الجزائر في مرحلة كفاحها الحاسمة مشاركة أقوى وأشد في جميع ميادين كفاحنا، المهم اليوم ان نعمل على استعمال كل الوسائل في الداخل والخارج ليقوى الضغط على فرنسا وتعود إلى الصواب، وتعود للجزائر حريتها، المهم اليوم لن يهدأ لنا بال حتى يتم إطلاق سراح المجاهدين وحتى تتفاوض معهم فرنسا على قاعدة الاعتراف باستقلال الجزائر.. "(40).

أما عن آخر دعم قدمه الإتحاد العام التونسي للشغل للقضية الجزائرية خلال فترة الدراسة (41)، هو التأكيد مرة أخرى على ضرورة تدويل القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة، كون ان الإتحاد العام التونسي للشغل كان يرغب في جعل القضية الجزائرية قضية دولية؛ وضمن هذا المجال كتب احمد بن صالح مقالا رائعا تحت عنوان "الجزائر في طريق الخلاص" تحدث فيه عن مختلف جوانب هذه الحلم، كما حاول من خلاله الرفع من مستوى الوعي الثوري للجزائريين، إضافة إلى تأكيده التام على مساندة القضية الجزائرية العادلة وتدويلها، حيث صرح قائلاً: "كفاح متواصل ثابت يقوم به شعب أقنع الدنيا بثباته وشجاعته على التحرر مهما كثرت التعهيمات.. وقد كنا إلى جانب اعتقادنا في نجاعة الكفاح الشعبي نطالب بأن تحل القضية الجزائرية في نطاق دولي.. حرية الجزائر فاتحة لجهة المغرب السياسية بل هي عامل عظيم في تشجيع منهاج الديمقراطية والعدل في هذا المغرب العزيز.. حرية الجزائر هي حرية دولة المغرب وتقدم شعبها.. كما ستكون حريتها فاتحة عهد جبهة المغرب لإقامة نظام سياسي واقتصادي يثبت إقدام استقلال يضمن نظاما ديموقراطيا ومستقبلا لشعبنا المغربي الكادح والمكافح" (42).

طبعا كانت هذه هي أهم العناوين الكبرى لكافة أشكال الدعم والتضامن النقابي للقضية الجزائرية، والتي تراوحت بين الدعم الإعلامي والمادي على المستويين المحلي والدولي، وهذا قناعة راسخة عند قيادة الإتحاد العام التونسي للشغل في السهر على حماية المصلحة المغاربية وجعلها فوق كل اعتبار، وهذا ما جعل منهم لا يكتفون بدعم القضية الجزائرية فقط، بل تعدوا حدودها إلى الضفة الغربية واعني بذلك القطر المغربي أو مراكش، فما هي اهم ملامح أشكال الدعم والمساعدة التي قدمتها قيادة الإتحاد العام التونسي للشغل للقضية المغربية؟ هذا ما سنجيب عنه في العنصر الموالي .

4. الإتحاد العام التونسي للشغل والقضية المغربية :

تتميز القضية المغربية عن نظيرتها الجزائرية بالكثير من نقاط الاختلاف؛ كون ان الأولى تعيش تحت منظومة حكم مزدوج مغربي فرنسي، أو ما يعرف بنظام الحماية ،اما الجزائر فتعيش تحت وطأة نظام استعماري عنيف؛ تحركه دوافع رأسمالية إستراتيجية جشعة، وبالتالي فإن الدعم الذي ستلقاه القضية المغربية من طرف الإتحاد العام التونسي للشغل؛ سيكون مختلف تماما عن ذلك الذي حظيت به القضية الجزائرية، بالرغم من أن المغرب الأقصى كان من بين الدول السباقة التي تضامن مع الإتحاد العام التونسي للشغل في مختلف محنه، خاصة قضية اغتيال فرحات حشاد ودعمه المبكر للثورة التونسية، إلا أن دعمه من طرف الإتحاد كان نوعا ما متأخرا، وذلك راجع لطبيعة الإستعمار في المنطقة والظروف المحلية والدولية، فضلا عن تشعب العلاقات السياسية بين الحركات الوطنية الإستقلالية في البلدين⁽⁴³⁾، لقد أبتهج الإتحاد العام التونسي للشغل من جراء تأسيس الحركة النقابية المغربية ذات البعد الثوري أي الإتحاد المغربي للشغل، ويظهر ذلك حين كتب احمد بن صالح مقال مقضبا تحت عنوان جبهة "عمال شمال إفريقيا" وضح فيه كل ذلك؛ فضلا عن تركيته المباشرة لهذا الإتحاد الجديد وصرح مايلي: "كان خبر تأسيس منظمة نقابية بالمغرب الأقصى بشرى الأسبوع للعمال بتونس وبشمال إفريقيا"⁽⁴⁴⁾.

كما وضح احمد بن صالح أيضا كيفية وظروف تأسيس الإتحاد المغربي للشغل وطبيعة السياسة الفرنسية بالمغرب المفروضة على العمال، إضافة إلى طبيعة القوانين المعمول بها في مسألة الحق النقابي، التي كانت في أغلبها تهدف إلى تعطيل ميدان الشغل وتكريس الوجود الفرنسي في المنطقة؛ وصرح أيضا: "تأسس الإتحاد المغربي للشغل رغم التشريع الرجعي المفروض على المغرب فالقانون المتعلق بالنقابات والمعمول به بالمغرب يجسم ما يحمله نظام الحماية هناك من عنصرية، إذ لا يسمح للعمال المغاربة أن يكونوا نقابات إنما سمحت لهم السلطة أن يلتحقوا بالنقابات الفرنسية الممتدة فروعها إلى بلدان شمال إفريقيا"⁽⁴⁵⁾، كون ان النقابات الفرنسية كما هو معروف تسير نفوذ الحركة الإستعمارية، وتحاول دائما تأكيد هذا في العلاقة بين العمل والعمال .

لقد سعى عمال المغرب إلى افتتاح حقهم النقابي وتنظيم صفوفهم في تنظيم نقابي وطني خالص؛ يعززون من خلاله الجبهة الثورية لبلادهم، فطيلة هذه الفترة سعت أيضا قيادة الإتحاد العام التونسي للشغل إلى دعم ذلك، و عملت على ربط أواصر العمل بينهم وبين العمال المغاربة لتحقيق آمالهم التي راودت الكثير من النقابيين المغربيين، وهذا ما جعلهم حسب احمد بن صالح: "متجهين اتجاها صحيحا نحو النهوض الإقتصادي والإجتماعي..منذ سنوات هو الإتحاد العام التونسي للشغل ،الذي عمل على ربط الصلة مع القادة النقابيين المغاربة رغم

انتسابهم الشكلي إلى المنظمات الغير القومية"، اما بخصوص دعم الإتحاد العام التونسي للشغل في الخارج للعمال المغاربة وضح أحمد بن صالح أن: "القادة النقبائين التونسيين منذ سنوات كانوا يعملون على تحقيق التأييد العالمي للعمال المغاربة، حيث قامت الجامعة العالمية بالعمل الإيجابي لتأييد قضية المغرب الأقصى في الأمم المتحدة وفي الأوساط العالمية، كما حملت المنظمة الدولية للشغل على أن تؤنب فرنسا على موقفها الرجعي من الحريات النقابية في المغرب الأقصى مثلما أنتبتها عندما عبث بعض ممثليها بالحريات الفردية والنقابية بتونس"⁽⁴⁶⁾، كما عبر احمد بن صالح على سخطه من سياسة العنف المنتهجة والمسلطة في حق العمال والشعب المغربيين، وأشاد بصمودهم أمام سياسة التعنت والمراوغة وصرح قائلاً: " هذا المغرب يتواصل فيه الغضب الكامل على نظام يتلاشى على المراوغة والتعنت، هي شعوب شمال إفريقيا اليوم في مقدمة النضال ضد الإستعمار في سبيل الكرامة والرفاهية والحرية الكاملة"⁽⁴⁷⁾.

طبعاً توجه الإتحاد العام التونسي للشغل بالدعم إلى المغرب؛ بهدف تقوية فكرة الوحدة المغاربية التي منيت بالفشل؛ لذلك نجده كل مرة يتحدث عن الوحدة التي لم تتحقق إلى جانب القضية الجزائرية او المغربية؛ فمثلاً في إحدى المناسبات تحدث عن الصعوبات التي يتلقاها المغاربة في تحقيق هذا المشروع الذي بقى معلقاً حتى اليوم وصرح مايلي: "مما يعرقل نجاحها أحياناً انتصار عزميتها دون ان يكتبها او يقتلها هو تردد واختلاف عناصرها او العنصرية المتفشية في أهلها، قد نقول أن التفرقة والتردد يصنعهما الإستعمار وينسجهما ويحبكهما، فالاستعمار الحق في ذلك فهو عدوك يخلق كل الوسائل لقتلك ودفنك على أبشع على حال، ولكن ليس لأمة إفريقية ان تعمى عن طريق وحدتها حول أصلح اتجاه وأقرب سبيل يحافظ على قدرة الشعب ويجعل مسؤوليته في جميع الميادين يفتكون كل شيء من النفوذ والثروة"⁽⁴⁸⁾.

وعندما كانت تونس منشغلة بتشكيل برلمان تونسي للدولة التونسية في كنف الاستقلال؛ لم ينسى الإتحاد العام التونسي للشغل في تقديم الدعم للقضية المغربية إذ اقترح على البرلمان الذي سيشكل مرافقة قضايا المغرب العربي وبالأخص المغربية وصرح قائلاً: "فحرام ان نفرغ الجهود لغير هذا او لغير الإعانة على ان ينتخب نوابنا ويجتمعوا في كامل الحرية وفي كامل الهدوء، لا عنف ولا شتم ولا قذيفة ولا بلبلة فمن كانت له نزعة فلينبوب عنها في البرلمان ومن كانت له عقيدة فليدافع عنها في البرلمان، لتكن فوائد الجميع استقلال دولتنا ورفع مستوى شعبنا ورائد الجميع مواصلة العمل والكفاح للضغط على النظام الاستعماري في الجزائر ومراكش وغيرهما..."⁽⁴⁹⁾.

5. خاتمة:

مما سبق عرضه وتحليله ومناقشته نستخلص ان:
كثرة الأنشطة والمحاولات والدعوات إلى "الوحدة" التي قام الإتحاد العام التونسي للشغل لتأسيس نقابة عمالية موحدة جامعة في شمال إفريقيا تضم الطبقة العمالية في البلدان الثلاث، باءت كلها بالفشل ولم تتكامل بالنجاح، وذلك راجع لانشغال كل واحد منها بالمصالح القطرية المسطرة؛ فضلا عن ذلك ضغط الحركات السياسية في بلدانها وتغافلها عن "القوة الوحدوية" التي من الممكن ان تكسبها من جراء تحقيق هذا المشروع .
علاوة على ذلك نشوب بعض الخلافات بين القيادات الثورية في البلدان الثلاث، ساهم بشكل كبير في وأد المشروع؛ بالرغم من أن قيادة الإتحاد العام التونسي للشغل عملت على توفير المناخ الملائم لهذا المشروع؛ وذلك بتقديمها الدعم اللازم للقضيتين الجزائرية والمغربية؛ إضافة إلى ذلك سبست عملها النقابي لتقريب الرؤى المغاربية وتحقيق الالتفاف حوله؛ لكن للأسف منذ ذلك الحين بقي مشروع الوحدة المغاربية معلقا وحبس الشعارات البراقة إلى اليوم.

6. الهوامش:

- 1 - جريدة الشعب، ع8، غرة ديسمبر، 1959م .
- 2 - نفسه.
- 3 - مومن العمري ،شعار الوحدة ومضمونه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني،دكتوراه، جامعة قسنطينة2، 2009-2010، ص265.
- 4 -محمد علي داهش،دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي،دمشق ،إتحاد الكتاب العرب 2004،ص185.
- 5 - جريدة الشعب، ع8، غرة ديسمبر، 1959م
- 6 - علي داهش ،مرجع سابق،ص186.
- 7 - مومن العمري ،مرجع سابق،ص267.
- 8 - احمد بن صالح، أملنا في كفاحنا ،صوت العمل، ع1، السلسلة 2، بتاريخ 27فيفري1955م
- 9 - أبو القاسم ،سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج2 ، الجزائر ، دار البصائر ، 2007، ص89.
- 10 - علال الفاسي ،الحركات الإستقلالية في المغرب العربي،ط6، المغرب،مؤسسة علال الفاسي، 2003، ص286.

- 11 - أحمد بن صالح، جبهة عمال شمال إفريقيا، صوت العمل، ع5، السلسلة الثانية، بتاريخ 3 أبريل 1955م
 - 12 - تقريبا أغلب المقالات التي كتبها فرحات حشاد واطلعنا عليها كانت قائمة على التنظير والدعوة على المستوى المغربي، سواء تلك التي كتبها في الصحف الوطنية التونسية باللغة العربية أو باللغة الفرنسية .
 - 13 - أحمد المالكى، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993، ص 372.
 - 14 - أحمد بن صالح، بين النيران، صوت العمل، السلسلة الثانية، ع26، بتاريخ 27 أوت 1955م.
 - 15 - صوت العمل، ع 41، السلسلة الثانية، بتاريخ 10 ديسمبر 1955م
 - 16 - أحمد بن صالح، دائما على الأمام، صوت العمل، ع43، السلسلة الثانية، بتاريخ 24 ديسمبر 1955م .
 - 17 - صوت العمل، ع19، السلسلة الثالثة، بتاريخ 7 جويلية 1956م.
 - 18 - يمكن العودة إلى دراستنا: قر في عبد الله، العلاقات النقابية التونسية الجزائرية.. الأبعاد التاريخية والدلالات السياسية، ملتقى الحركة العمالية والمسألة الوطنية خلال الفترة الإستعمارية، 29-30 أكتوبر 2018، جامعة سكيكدة، الجزائر.
 - 19 - تشير العديد من المصادر الإعلامية التي غطت المؤتمر إلى شخصية أحمد بن بلة وعيسات إيدرير.
 - 20 - صوت العمل، ع37، السلسلة الثالثة، بتاريخ 13 جوان 1948م
 - 21 - يمكن العودة إلى دراستي: قر في عبد الله، تسييس النضال النقابي في تاريخ الإتحاد العام التونسي للشغل خلال المرحلة الحشادية 1946-1952م، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، مج 13، ع1، 2020، صص 388-415.
 - 22 - هناك العديد من الدراسات المهمة التي تناولت الحركة النقابية العمالية الجزائرية نذكر منها:
-راجعي عبد العزيز، ظروف وأليات تشكل الحركة العمالية الجزائرية ما بين الحربين 1919-1939، مجلة دراسات، مج8، ع7، 2018.
 - عبد الحفيظ إقنان، التنظيم النقابي والإيديولوجي للحركة النقابية في الجزائر بين 1919-1929م، مجلة الناصرية، مج10، ع2، 2019.
- ²³ - Benjamin, Stora :Messali hadj(1898-1974),Edi l'armattan ,Paris , (S.D), p 207.
- 24 - أنظر جريدة المنار، ع 1، السنة الثانية، بتاريخ 11 أبريل 1952م .
 - 25 - أحمد بن صالح، بين النيران، صوت العمل، ع26، السلسلة الثانية، بتاريخ 27 أوت 1955م .
 - 26 - صوت العمل، ع44، السلسلة الثانية، بتاريخ 31 ديسمبر 1955م
 - 27 - صوت العمل، ع44، السلسلة الثانية، بتاريخ 31 ديسمبر 1955م
 - 28 - صوت العمل، ع 49، السلسلة الثانية، بتاريخ 4فيفري 1956م
 - 29 - محمد قدور، دور المنظمات الجماهيرية في الثورة التحريرية الجزائرية 1956-1962م (الإتحاد العام للعمال الجزائريين أمموجدا)، دكتوراه، جامعة الجزائر2، قسم التاريخ، 2014-2015، ص155.
 - 30 - قر في عبد الله، مرجع سابق، ع392.

- 31 - صوت العمل، ع5، السلسلة الثالثة، بتاريخ 31 مارس 1956 م
- 32 - احمد بن صالح، الجزائر، صوت العمل، ع13، السلسلة الثالثة، بتاريخ 26 ماي 1956 م .
- 33 - يمكن الإطلاع أيضا على فحوى الرسالة كاملة في صوت العمل، ع 15، السلسلة الثالثة، بتاريخ 9 جوان 1956 م
- 34 - للتفصيل في جدول اعمال الإجتماع ومخرجاته: يمكن العود إلى صوت العمل بتاريخ 23 جوان 1956 م في عددها 16 من السلسلة الثالثة .
- 35 - صوت العمل، ع18، السلسلة الثالثة، بتاريخ 30 جوان 1956 م
- 36 - احمد بن صالح، المشككتان الجزائر والإقتصاد، صوت العمل السلسلة الثالثة، ع21، بتاريخ 21 جويلية 1956 م .
- 37 - وهم السادة احمد بن بلة ومحمد خضير وحسين آيت احمد ومحمد بوضياف ومصطفى الأشرف .
- 38 - احمد بن صالح، غرة نوفمبر: يوم الجزائر، ع33، السلسلة الثالثة، بتاريخ 19 أكتوبر 1956 م
- 39 - تشير العديد من الدراسات ان الطائرة كانت ستقلع من مطار المغرب متوجهة إلى تونس مباشرة، فقامت الجوية الفرنسية بقطع الطريق أمامها؛ وقامت بإزالتها في مدينة الجزائر، وبعدها تم اعتقال القادة الخمس يوم 22 أكتوبر 1956 م لمزيد من التفصيل حول المسألة يمكن العودة إلى :- محمد بوشناي، صدى اختطاف طائرة الزعماء الجزائريين في الصحافة المغربية، المجلة التاريخية الجزائرية، مج3، ع2، 2019، صص 227-240.
- 40 - احمد بن صالح، هذه وحدة المغرب، صوت العمل، ع34، السلسلة الثالثة، بتاريخ 26 أكتوبر 1956 م .
- 41 - هنا لا بد من الإشارة ان الإتحاد العام التونسي للشغل واصل دعمه للقضية الجزائرية حتى حققت الجزائر استقلالها.
- 42 - صوت العمل، ع37، السلسلة الثالثة، بتاريخ 16 نوفمبر 1956 م .
- 43 - أحمد المالكي، مرجع سابق، ص374.
- 44 - احمد بن بن صالح، جبهة عمال شمال إفريقيا، صوت العمل، السلسلة 2، ع4، بتاريخ 27 مارس 1955 م .
- 45 - احمد بن بن صالح، جبهة عمال شمال إفريقيا، صوت العمل، السلسلة 2، ع4، بتاريخ 27 مارس 1955 م .
- 46 - احمد بن بن صالح، جبهة عمال شمال إفريقيا، صوت العمل، السلسلة 2، ع4، بتاريخ 27 مارس 1955 م .
- 47 - صوت العمل، السلسلة الثانية، ع26، بتاريخ 27 أوت 1955 م
- 48 - صوت العمل، السلسلة الثانية، ع34، بتاريخ 22 أكتوبر 1955 م .
- 49 - صوت العمل، السلسلة الثانية، ع 44 بتاريخ 31 ديسمبر 1955 م .

7. قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

- جريدة الشعب، ع8، غرة ديسمبر، 1959م
- احمد بن صالح، أملنا في كفاحنا، صوت العمل، ع1، السلسلة 2، بتاريخ 27 فيفري 1955م
- أحمد بن صالح، جبهة عمال شمال إفريقيا، صوت العمل، ع5، السلسلة الثانية، بتاريخ 3 أبريل 1955م
- أحمد بن صالح، بين النيران، صوت العمل، السلسلة الثانية، ع26، بتاريخ 27 أوت 1955م.
- صوت العمل، ع41، السلسلة الثانية، بتاريخ 10 ديسمبر 1955م
- احمد بن صالح، دائما على الأمام، صوت العمل، ع43، السلسلة الثانية، بتاريخ 24 ديسمبر 1955م.
- صوت العمل، ع19، السلسلة الثالثة، بتاريخ 7 جويلية 1956م.
- صوت العمل، ع37، السلسلة الثالثة، بتاريخ 13 جوان 1948م.
- جريدة المنار، ع1، السنة الثانية، بتاريخ 11 أبريل 1952م
- احمد بن صالح، بين النيران، صوت العمل، ع26، السلسلة الثانية، بتاريخ 27 أوت 1955م.
- صوت العمل، ع44، السلسلة الثانية، بتاريخ 31 ديسمبر 1955م
- صوت العمل، ع44، السلسلة الثانية، بتاريخ 31 ديسمبر 1955م
- صوت العمل، ع49، السلسلة الثانية، بتاريخ 4 فيفري 1956م
- صوت العمل، ع5، السلسلة الثالثة، بتاريخ 31 مارس 1956م
- احمد بن صالح، الجزائر، صوت العمل، ع13، السلسلة الثالثة، بتاريخ 26 ماي 1956م.
- صوت العمل، ع15، السلسلة الثالثة، بتاريخ 9 جوان 1956م
- صوت العمل بتاريخ 23 جوان 1956م في عددها 16 من السلسلة الثالثة.
- صوت العمل، ع18، السلسلة الثالثة، بتاريخ 30 جوان 1956م
- احمد بن صالح، المشكلتان الجزائر والإقتصاد، صوت العمل السلسلة الثالثة، ع21، بتاريخ 21 جويلية 1956م.
- احمد بن صالح، هذه وحدة المغرب، صوت العمل، ع34، السلسلة الثالثة، بتاريخ 26 أكتوبر 1956م.

- صوت العمل، ع37، السلسلة الثالثة، بتاريخ 16 نوفمبر 1956 م .
- احمد بن بن صالح ، جبهة عمال شمال إفريقيا ، صوت العمل ، السلسلة 2، ع4، بتاريخ 27 مارس 1955 م .
- احمد بن بن صالح، جبهة عمال شمال إفريقيا ، صوت العمل ، السلسلة 2، ع4، بتاريخ 27 مارس 1955 م .
- احمد بن بن صالح ، جبهة عمال شمال إفريقيا، صوت العمل ، السلسلة 2، ع4، بتاريخ 27 مارس 1955 م .
- صوت العمل ، السلسلة الثانية ، ع26، بتاريخ 27 أوت 1955 م
- صوت العمل، السلسلة الثانية، ع34، بتاريخ 22 أكتوبر 1955 م .
- صوت العمل، السلسلة الثانية، ع 44 بتاريخ 31 ديسمبر 1955 م .

قائمة المراجع:

- محمد علي داهش، دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، دمشق، إتحاد الكتاب العرب، 2004.
- أحمد المالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1993.
- أبو القاسم، سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، ج 2 ، الجزائر ، دار البصائر ، 2007.
- علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، ط6، المغرب، مؤسسة علال الفاسي، 2003.
- محمد بوشنافي، صدى اختطاف طائرة الزعماء الجزائريين في الصحافة المغربية، المجلة التاريخية الجزائرية، مج3، ع2، 2019 .
- راجعي عبد العزيز، ظروف وأليات تشكل الحركة العمالية الجزائرية ما بين الحربين 1919-1939، مجلة دراسات، مج8، ع 7، 2018.

- عبد الحفيظ إقنان، التنظيم النقابي والإيديولوجي للحركة النقابية في الجزائر بين 1919-1929م، مجلة الناصرية، مج 10، ع 2، 2019.
- قرني عبد الله، تسييس النضال النقابي في تاريخ الإتحاد العام التونسي للشغل خلال المرحلة الحشادية 1946-1952م، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، مج 13، ع 1، 2020.
- قرني عبد الله، العلاقات النقابية التونسية الجزائرية.. الأبعاد التاريخية والدلالات السياسية، ملتقى الحركة العمالية والمسألة الوطنية خلال الفترة الإستعمارية، 29-30 أكتوبر 2018، جامعة سكيكدة، الجزائر.
- مومن العمري، شعار الوحدة ومضمونه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني، دكتوراه، جامعة قسنطينة 2، 2009-2010.
- محمد قدور، دور المنظمات الجماهيرية في الثورة التحريرية الجزائرية 1956-1962م (الإتحاد العام للعمال الجزائريين أنموذجا)، دكتوراه، جامعة الجزائر 2، قسم التاريخ، 2014-2015.

قائمة المراجع الأجنبية:

- Benjamin ,Stora :**Messali hadj(1898-1974)**,Edi l'armattan ,Paris , (S.D)